بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين
محمد وآله الطيبين الطاهرين
واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين

مقالات

نشرة تعالج مقولات فكرية وثقافية
ومفاهيمية مؤثرة في مجتمعاتنا المتموّجة

سلسلة: عاشوراء

أوجاع وفضائل الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء

المحرر:
صادق جعفر

توضح لنا نصوص بعض الزيارات صورة لآلام وأوجاع الإمام الحسين صلوات الله عليه العديدة والشديدة في واقعة كربلاء والتي توزعت بين أوجاع الجسد وأوجاع النفس وأوجاع الروح، وقد أحاطت تلك الأوجاع بكل من كان معه من أهله وأصحابه بل وبالبهائم التي كانت معه كالخيل التي كانت تحته.

ومن جهة أخرى تبيّن نصوص زيارات أخرى، الفضائل والكمالات التي تحلّى بها سيد الشهداء عليه السلام بحيث جعلت منه وتراً خالداً في تاريخ الإنسانية كلها.

رضوى
للانتاج الثقافي

أوجاع وفضائل
الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء

في هذه المقالة :

في هذه المقالة سنشير بصورة سريعة إلى ما ورد في نصوص زيارتين للإمام الحسين صلوات الله عليه، الأولى تشير إلى ما تعرض له من وجع وآلام وهي زيارة الناحية المقدسة، والثانية تشير إلى الفضائل التي تميّز بها الإمام عليه السلام وهي زيارة وارث.

المحتويات:

- أولاً: زيارة الناحية
- ثانياً: زيارة وارث

أولاً: زيارة الناحية: أوجاع الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء:

- ما هو الوجع والألم؟

الألم والوجع هو الإحساس بحدوث تغيّر غير طبيعي في الجسم، أي حدوث خلل في أداء الأعضاء الجسمية، وله عدة أسباب، منها أسباب خارجية كالاصطدام بأشياء صلبة، أو حدوث جرح، أو ملامسة عضو للنار، أو تلوث الجروح وملامستها لمواد مهيجة كالأملاح والأحماض والتراب، وأسباب داخلية كالعفونة والالتهابات الباطنية، أو حدوث ضغط بسبب عمل يسبب الإجهاد، وتقوم أطراف الأعصاب الموجودة في الجلد أو أنسجة الجسم العميقة بتحويل المعلومات إلى الجهاز العصبي المركزي والذي ينقل الإحساس بالألم إلى الدماغ، وكلما كان الخلل قويّاً كانت الأعصاب أكثر حساسية في نقل مستوى الألم وحدّته.

- أشكال الألم:

إن للألم أشكال عدة متنوعة، منها:

١. وخز شديد، كما يحدث حين ينكسر أحد الأضلاع فيسبب الوخز كلما تحرك العضو الذي يحويه.

٢. روائح كريهة مؤذية، تصدر من الأعضاء التي تعاني من عفونة الجراح.

٣. حرقان وحرارة عالية، تشبه الطعنات في محيط منطقة الجروح والإصابات الداخلية والخارجية.

٤. حمى وارتفاع درجة حرارة الجسم كله، بسبب الإصابات الشديدة.

٥. شدٌّ قاسٍ، وتمدد العضو لأقصى حد بحيث لا يعود لوضعه الأساسي، وكأن هناك من يقوم بسحبه ويريد فصله عن الجسم.

٦. تعرق غزير لكامل الجسم في بعض الحالات، والذي يُرهق الجسم ويضعفه ويؤدي إلى نقصان سوائله.

٧. رعشة الجسم أو العضو المصاب بصورة موجعة لا إرادية.

٨. تنمّل وخدر العضو المصاب النزيف والضربات والرضوض الشديدة، مما يجعل العضو ثقيل الحركة بصورة مزعجة جداً.

٩. اختلاج وصدور حركات لا إرادية للأعضاء وتضرر مراكزها العصبية بسبب القطع أو الكسر أو الطعن العميق، بحيث لا تكون متناسقة وتختلف في الانقباض والانبساط والتمدد والتقلص وما شابه ذلك.

وفي زيارة الناحية المقدسة العديد من صور الألم التي أصابت سيد الشهداء صلوات الله عليه، وهي كالتالي:

- أوجاع العطش:

العطش هو شعور الجسم بالحاجة إلى الماء، بسبب حصول نقص في سوائل الجسد البشري الذي يشكّل الماء ما يقارب الثلثين من تكوينه، والشعور بالعطش قد يشتد بسبب الطعام المالح أو الجاف أو بسبب جفاف الجو والغبار وما شابهها من الأحوال، ويحتاج جسم الإنسان بصورة عامة ما يعادل ٢,٤ ليتر من الماء أي ما يقارب ١٢ كأس يومياً، وتحتاج أجساد الأطفال إلى الماء أكثر من أجساد الكبار، بسبب نشاطهم المستمر وحاجة أجسامهم إلى النمو، وعندما يتعرض الجسم للعطش لفترة طويلة دون أن يتم تعويض السوائل المفقودة، يُصاب بحالة جفاف تبدأ بتهديد حياته، وهذه الحالة قد تكون محدودة أو متوسطة أو شديدة.

الجفاف الخفيف والمتوسط: الجفاف الخفيف هو ما يصيب الإنسان عندما يفقد ما بين ٥ إلى ٦ بالمائة من سوائل الجسم، والمتوسط هو ما ينتج عن فقدان ٧ إلى ١٠ بالمائة منها، ويُولّد الجفاف حالة إعياء للجسد وأذى وآلام في الكثير من أعضاءه ونواحيه، فالفم بصورة عامة يصبح جافاً ودبِقاً مما يسبب شعوراً عالياً من الانزعاج والضيق، كما ينتشر الإحساس بالنعاس والتعب ويصبح الأطفال أقل حركة وفعالية من المعتاد، وينخفض إنتاج الجسم للإفرازات السائلة كالبول ويقل الدمع بل قد ينعدم عند البكاء، ويصبح الجلد جافاً وأكثر حساسية لِما يتعرض له من احتكاك أو خدوش أو ضغط، كما قد يصاب المرء العطشان الذي يعاني من حالة الجفاف بالصداع الذي يتزامن مع استمرار الجفاف، وكذلك بالإمساك، وقد يبدأ لديه الشعور بالدوخان أو خفة الرأس.

الجفاف الحاد: ويتحول الجفاف إلى حاد بعد فقدان أكثر من ١٠ بالمائة من سوائل الجسد، وينتج عنه حالة حادة من الظمأ الذي قد يجعل حركة اللسان في الفم كحركة الخشبة الخشنة التي تحتك بجلد الفم الداخلي الجاف أو كالسكين التي تقطع في اللثة والجلد والبلعوم وبالتالي تجعل الكلام وفتح الفم وغلقه أو أية حركة فيه ثقيلة على النفس لما قد تسببه من إزعاج وأذى وصعوبة، وفي هذه الحالة يمكن بسهولة أن يتعرض الكبار للاهتياج الشديد والتشوّش، أما بالنسبة للصغار فيصبحون نزقين والبعض منهم كالرضع يسيطر عليهم النعاس، كما ينعدم تعرق الجسم ويقل أو ينعدم التبوّل، وتغور العينان وتنعدم الدموع عند البكاء، ويتجعد الجلد ويجف ويفقد طراوته لدرجة أنه قد لا يرتد إلى حالته الطبيعية عند الضغط عليه، وتغور اليوافيخ عند الرضع، وهي المواضع اللينة في أعلى رأس الرضيع، وينخفض ضغط الدم، وتتسرع ضربات القلب، كما قد يصبح التنفس سريعاً ومتعباً، وقد يصاب الشخص في حالة الجفاف الحاد بالحمى والهذيان أو فقدان الوعي.

- مضاعفات الجفاف:

الجفاف يؤدي إلى مضاعفات خطيرة منها:

- **تورم الدماغ (وذمة الدماغ):** يحدث أحيانا عند تناول السوائل مجدداً بعد الجفاف أن تقوم الآليات الطبيعية في الجسم بمحاولة دفع كميات كبيرة من الماء إلى خلايا الجسم، ما قد يسبب تورم بعضاً منها وانفجارها، والعواقب تكون خطيرة للغاية إذا وجدت هذه الآلية طريقها إلى خلايا الدماغ (ولذلك ففي حالة بدء معالجة الجفاف ينصح بعدم شرب الماء دفعة واحدة وإنما بشكل بطيء، فالإعادة السريعة للسوائل المفقودة في حالة الجفاف الحاد قد تؤدي إلى تفاقم الأعراض نتيجة لاختلال التوازن بين أملاح الدم، أو قد تؤدي إلى احتداد الشعور بالغثيان وإلى زيادة القيء عندما تكون درجة حرارة الجسم مرتفعة، أو قد تؤدي إلى وذمة دماغية).
- **نوبات اختلاجية:** الجفاف وفقدان السوائل الحاد قد

يخل بجريان الإشارات العصبية من خلية إلى أخرى، واذا اختل هذا التوازن العصبي فإن هذه الرسائل الكهربية ستختلط ببعضها بما قد يؤدي لانقباضات عضلية غير إرادية وفي بعض الأحيان لفقدان للوعي.

وتشير زيارة الناحية إلى مظاهر العطش التي أصابت سيد الشهداء عليه السلام، حيث تقول «السَّلامُ عَلى الشِّفَاهِ الذَّابِلاتِ، السَّلامُ عَلى النُّفوسِ المُصْطَلِمَاتِ، السَّلامُ عَلَى الأرواحِ المُخْتَلَسَاتِ، السَّلامُ عَلى الأجْسَادِ العَارِيَاتِ، السَّلامُ عَلى الجُسُومِ الشَّاحِبَاتِ»، وفي مقطع آخر «قَدْ رَشَحَ لِلمَوْتِ جَبِيْنُكَ، واخْتَلَفَتَ بالإنْقِبَاضِ والإنْبِسَاطِ شِمَالُكَ وَيَمِينُكَ».

- أوجاع نزيف الدم:

النزيف عبارة عن تدفق الدم باتجاه داخلي أو خارجي، وقد يكون شريانياً أو وريدياً أو شعيرياً، من داخل الأوعية الدموية باتجاه الأنسجة أو باتجاه الخارج، ويكون لون الدم الوريدي عادةً غامقاً أكثر، كما أنه يتدفق ببطء وبشكل ثابت، وهذا النزيف عادةً ما يرتبط بالجروح العميقة، ويعمل سائل الدم كناقل للطاقة والأكسجين لكل أعضاء وأجهزة الجسم، وفي حالة وجود نقص في حجم الدم، فإن هذا يضر بعملها، ولكي يستطيع الجسم التغلب على تأثير نقص حجم الدم، يقوم بتسريع وتيرة دقات القلب وتقليص الأوعية الدموية، وفي المقابل أيضاً يظهر إحساس بالعطش، وذلك لتعويض النقص في السوائل، ويقوم أيضاً بتخفيض كمية البول، كل ذلك لكي يتفادى نقصاً إضافياً في السوائل.

- أوجاع الجراح:

الجلد هو الغلاف الذي يغطي جسم الإنسان ويفصل بين الجسم والبيئة المحيطة به، وهو ينقسم إلى طبقتين رئيسيتين هما البشرة وهي نسيج الخلايا الموجود كطبقة سطحية للجسد، والأدمة وهو نسيج داخلي يحوي الأوعية الدموية والنهايات العصبية التي تؤمّن الإحساسات المختلفة (ألم، ضغط، حرارة، ..الخ) وجذور الأشعار (التي ترتبط بها الغدد الدهنية) إضافة إلى الغدد العَرَقيّة التي تفتح مسامها على سطح البشرة، ووظيفته (أي الجلد) هي حماية البدن من الصدمات وتقلبات الحرارة.

وتنقسم الجروح التي يتعرض لها الجسم وتمر عبر الجلد إلى بسيطة كالكشط والقطع والتمزّق والثّقب والنّتف والقلع، وبليغة واسعة وعميقة وملتهبة أو منغرس فيها أجسام غريبة كالتراب أو الزجاج أو الشظايا، كالجروح التي تصيب مواقع حساسة كالعين أو الجروح النافثة في الصدر بسبب جرح عميق مثلاً يصل حتى الرئة، وهنا يحدث نزيف داخلي ونزيف خارجي يحوي فقاعات هوائية صادرة عن الرئة يخرج عند الزفير، وهذا النوع من الإصابات تسببه طعنات سلاح أبيض أو رصاصة أو شظية قنبلة أو حتى كسر مفتوح في أضلاع القفص الصدري.

ومن أعراض وعلامات الجروح الغزيرة الألم الشديد والانتفاخ السريع لبعض الأعضاء المصابة، والنزف الغزير، وتغير لون الجلد أحياناً عديدة، والشعور بالألم والوخز الشديد حين تحريك العضو المصاب، وحصول ضعف عام واضطراب في النبض والتنفس وتشوّش في الرؤية وعلامات الصدمة وغيرها، بحسب العضو المصاب وشدة الإصابة.

والقاعدة الأساسية للتعامل مع الجروح حين حدوثها هي تطهير وتنظيف مركز الجرح والمنطقة المحيطة به، وإزالة الأوساخ والأجسام الغريبة وتجفيفه وتضميده، فالجلد المكشوف يصبح شديد الحساسية لأية أجسام تعتبر ضارة تقع عليه كالتراب وغيره أو ما هو أسوأ كأن تقع طعنة جديدة على الطعنة التي سبقتها أو ضربة حادة جديدة على الشق والفتق الحاصل من ضربة سبقتها.

وتشير زيارة الناحية إلى جراحات الإمام الحسين عليه السلام بالقول: «السَّلامُ عَلى الدِّمَاءِ السَّائِلاتِ، السَّلامُ عَلى الأعْضَاءِ المُقطَّعَاتِ، السَّلامُ عَلى الرُّؤوسِ المُشَالاَتِ»، وفي موضع آخر «السَّلامُ عَلى المُغسَّلِ بِدَمِ الجِرَاحِ، السَّلامُ عَلى المُجَرَّعِ بِكاسَاتِ الرِّمَاحِ»، وفي موضع ثالث «السَّلامُ عَلى المَقْطُوعِ الوَتِينِ، السَّلامُ عَلى المُحَامي بِلا مُعِينٍ، السَّلامُ عَلى الشَّيْبِ الخَضِيبِ، السَّلامُ عَلى الخَدِّ التَّرِيْبِ».

- أوجاع الكسر والبتر:

الكسر والبتر هو عبارة عن قطع أو تهتك في الاتصال العظمي يؤدى إلى تجزُّؤ العظم إلى جزئين أو أكثر، وينتج عن إصابة مباشرة للعظمة المكسورة كالضربة الشديدة على الرأس التي تحدث كسوراً بعظام الرأس. وهناك أنواع عديدة من الكسور العظميّة نذكر منها:

١. الكسر البسيط الذي لم يتصل بالهواء الخارجى أي لم يصحبه جرح فوقه يسمح بتلويث الكسر.

٢. الكسر المضاعف الذى يكون مصحوب بجرح يسمح بتلويث الكسر سواء كان مصحوباً ببروز الجزء المكسور خارج الجرح أو لم يكن.

٣. الكسر المركّب الذي يحدث فيه تهتكات بالأنسجة المجاورة أو قطع بالشرايين والأعصاب، وهو إما أن يكون بسيطاً أو مضاعفاً، وأمثلة ذلك كسور الأضلاع التي تنغمس فيها أطراف الضلع المكسور في أنسجة الرئة وتهتّكها، وكسر عظم الفخذ إذا صاحبها تهتّك في الشريان الفخذي أو إصابة الأعصاب، مما يسبب شللاً في الساق.

٤. الكسر المنخسف الذي يحدث في عظام قبوة الرأس وفيه تنخسف قطعة العظم المكسورة للداخل، وقد تصيب المادة المخيّة تحتها أو تضغط عليها.

٥. كسر الغصن الأخضر وقد سمي كذلك لأن الكسر لا يكون تاماً فتنكسر العظمة من ناحية ويحدث بها انثناء في الناحية المقابلة ويحدث عادة للأطفال لمرونة عظامهم.

٦. الكسر المستعرض ويحدث على شكل خط مستقيم مار بمنتصف ساق العظمة وذلك بسبب ضربة خارجية مباشرة كضربة السيف الذي يقطع العضو مع العظم.

- أوجاع الاحتضار والموت في الغربة:

من المعلوم في التراث الديني والإنساني أن ساعات الاحتضار والموت هي من أشد الساعات وأثقلها وأكثرها ألماً ووجعاً على الإنسان حتى لو كان بلا علّة ولا محنة، فكيف إذا كان هذا الإنسان يحتضر وهو وحيد وفريد ومحاصر من قبل أعدائه في صحراء نائية والدماء تنزف كالسيول المنهمرة من جميع جوانب بدنه وجميع جراحه مرمّلة بالتراب، وهو في حالة شديدة من العطش وأعضاءه مقطعة وبعضها مبتور أو مشلول قد تلف من كثرة ما أكلت منه السيوف والرماح والنبال، وفي نفس الوقت يتعرض للإهانات والسباب والشتم من عدوه الذي تكاثر عليه، وهو يعلم بأنه مع موته سيترك نساءه وأطفاله تحت رحمة أشد الخلق قسوة وصلافة وأن أرامله وأيتامه سيكونون بلا معين ولا ناصر في تلك الصحراء النائية الموحشة، بل وأنه قبل أن يسلم الروح يأتي إليه بعض أطفاله ليلوذوا به فيذبحون أمام عينيه وعند موضع سقوطه وهو فاقد للقدرة على الدفاع أو ردِّ أذى تلك الوحوش الآدمية عنهم، ومع هذا كله فإنه لا يفارق الحياة إلا بعد أن يُحزُّ بالسيوف ويتجرّع الموت غصة بعد غصة وهو ينظر إلى من يذبحه في لحظة إيلاج السيف في منحره وقطع أوداجه ودجاً بعد ودجٍ وشرياناً إثر شريان ووريداً تلو وريدٍ، أفلا يكون هذا الإنسان من أشد الناس عناءً وألماً ووجعاً وعذابا؟

يقول النص الشريف: «فَأَحْدَقُوا بِكَ مِنْ كُلِّ الجِّهَاتِ وأَثْخَنُوكَ بِالجِّرَاحِ وَحَالُوا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الرَّوَاحِ وَلَمْ يَبْقَ لَكَ نَاصِرٌ وَأَنْتَ مُحْتَسِبٌ صَابِرٌ تَذُبُّ عَنْ نِسْوَتِكَ وَأَوْلادِكَ، حَتَّى نَكَّسُوكَ عَنْ جَوَادِكَ فَهَوَيْتَ إِلَى الأَرْضِ جَرِيحاً تَطَأُكَ الخُيولُ بِحَوَافِرِهَا وَتَعْلُوكَ الطُّغَاةُ بِبَوَاتِرِهَا، قَدْ رَشَحَ لِلمَوْتِ جَبِينُكَ واخْتَلَفَتَ بالإِنْقِبَاضِ والإِنْبِسَاطِ شِمَالُكَ وَيَمِينُكَ، تُدِيرُ طَرَفاً خَفِيّاً إِلى رَحْلِكَ وَبَيْتِكَ».

وهناك أوجاع وأهوال أخرى نترك الإشارة إليها لضيق المقام.

ثانياً: زيارة وارث: الحسين صلوات الله عليه وارث فضائل الأنبياء والأوصياء عليهم السلام:

ورد في زيارة وارث: «السَّلامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ آدَمَ

صَفْوَةِ الله، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ نُوحٍ نَبِيِّ الله، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ إِبْراهِيمَ خَلِيلِ الله، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ مُوسَى كَلِيمِ الله، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ عِيسَى رُوحِ الله، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ مُحَمَّدٍ حَبِيبِ الله، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلامُ».

فما هو معنى الوراثة في هذا السياق؟

في ظني إن أحد معاني الوراثة هنا هي وراثة الخلال التي صارت علّةً لتميّز أعظم الأنبياء من أولي العزم، بالإضافة إلى أبو البشرية آدم وسيد الأوصياء أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليهم السلام.

ونحن نعلم بأن رسول الله محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلم هو أعظم وأكرم وأفضل الأنبياء والرسل على الإطلاق وأن تلك الخلال قد تفوّق فيها على جميع من سبقه من الأنبياء عليهم السلام، وبالتالي فقد يطرأ تساؤل حول سبب عدم الإشارة فقط إلى أن الإمام الحسين عليه السلام والذي هو سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قد ورث منه الخلال بشكل مباشر؟

ولعل من الأسباب هي توضيح وتفصيل تلك الخصال الكريمة بصورة تجسيدية كما حصلت لدى الأنبياء العظام عليهم السلام وذُكرت في بيان القرآن الكريم، وللإشارة إلى أن الرسالات كلها تلتقي في الإمام عليه السلام وفي نهضته الإصلاحية وثورته على الظلم والطغيان والتحريف الديني والعقائدي، ولكي لا يقال أنه عليه السلام من الطبيعي أن يرث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأنه حفيده المباشر، وإنما للتوضيح بأنه عليه السلام ورث هذه الخصال لذات العلل التي جعلتها من استحقاق أولئك الأنبياء العظام عليهم السلام.

- الأهليّة: خلة آدم عليه السلام صفي الله

قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿**إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وآلَ إِبْرَاهِيمَ وآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ، ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾(آل عمران ٣٣-٣٤). تشير الآيات الكريمة إلى أن آدم عليه السلام تم اصطفائه لدور لا يقوم به غيره وهو الأبوّة لجميع البشر، والأهلية تعني القدرة على أداء الدور المنوط به بدقة وكفاءة عالية، وهي ركيزة الاصطفاء في هذا الأمر، كما تعني التأهّل النفسي (ملكات نفسية وذهنية ومعنوية) والاستعداد التطبيقي (السلوكي والتنفيذي والمادي)، وقد تعني أموراً أوسع من ذلك.

والإمام الحسين عليه السلام اختير للقيام بدور لم يقم به أحد من الأنبياء والأوصياء لا قبله ولا بعده، وهذا الدور هو شهادته الخالدة والتي كتبها الله عليه وجعلها حجة على خليقته، وجعل الإمامة في ذريته والأئمة من صلبه، فكان آدم عليه السلام أبو الناس والحسين عليه السلام أبو الأئمة الهادين لهؤلاء الناس.

- العزم: خلة نوح عليه السلام نبي الله

قال تعالى: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللهِ فَعَلَى اللهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ**﴾(يونس ٧١)، والعزم يعني الاجتهاد والجد في الأمر(الطريحي)، والعزيمة هي شدة التوكل وعلو الهمة في التنفيذ(ابن منظور)، ومن أبرز ما ميّز نوحاً عليه السلام طول مدة دعوته، فقد عاش ألفين وخمسمائة سنة، كان فيها نبياً لمدة ألف عام (تسعمائة وخمسون قبل الطوفان وخمسون بعده بحسب أشهر الروايات) وهو أول أولي العزم من الرسل، ولا شك بأنه كان شديد العزم ليقوم بالتبليغ ٩٥٠ سنة دون كلل أو انكفاء بالرغم من قلة من اتبعه وبالرغم من الأذى الذي لحقه من قومه، فقد كان الرجل منهم يأتي بابنه وهو صغير فيقفه على رأسه، فيقول (يا بني، إن بقيت بعدي فلا تطيعن هذا المجنون)، وقد تبعه في نهاية الأمر ثمانية أشخاص فقط (وقيل ثمانون).

والإمام الحسين عليه السلام كان شديد العزم والتوكل ولم ينكفأ بالرغم من قلة أنصاره ومن اتبعه، وبالرغم من كل المثبطات التي واجهته في طريقه إلى العراق وفي كربلاء.

- التسليم: خلة إبراهيم عليه السلام خليل الله

قال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً**﴾(النساء ١٢٥)، والتسليم في اللغة هو عدم المخالفة في شيء أو حتى شبهة التحيّر في علّة الأمر(ابن منظور)، وهو ركيزة الخلة كما يبدو من الآية الشريفة، فقد كان أحسن

الناس تسليماً لله فاتخذه خليلا، وحسن التسليم هنا كما يبدو هو كناية عن شدة التسليم، وقد بدا تسليم الخليل عليه السلام واضحاً حينما امتحنه الله تبارك تعالى بمواجهة قومه وحيداً فريداً حيث قام بتكسير أصنامهم دونما تردد أو وجل أو خوف، وحينما رُمي وأُحرق في النار، وحينما امتحنه تعالى بذبح ابنه، وحينما أمره بترك طفله الرضيع وزوجته الضعيفة في صحراء خالية من الإنس والعابرين ومن الماء والكلأ ومن كل مقومات الحياة، وأن يغادرهم إلى حيث جاء.

وتسليم إبراهيم عليه السلام لم ينحصر فيه وإنما برز أيضاً في أسرته الصغيرة أي ابنه وزوجته، قال تعالى على لسان إسماعيل ﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾(الصافات ١٠٢) وقال تعالى عنهما ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾(الصافات ١٠٣).

والإمام الحسين عليه السلام كان شديد التسليم لأمر الله تعالى، وقال لمن أراد أن ثنيه عن عزمه «شاء الله أن يراني قتيلا» وقال بشأن أسرته الكريمة «شاء الله أن يراهن سبايا»، وقال في كربلاء «هوّن ما نزل بي أنه بعين الله»، وقال ابنه علي الأكبر عليه السلام «إذاً لا نبالي بالموت»، وقالت أخته العقيلة زينب عليها السلام في وجه ابن زياد «ما رأيت إلا جميلا».

- الإمضاء: خلة موسى عليه السلام كليم الله

قال تعالى: ﴿يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ، وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾(الأعراف ١٤٤-١٤٥)، والإمضاء في اللغة يعني مضي من يسمع الكلام ويطيعه بلا تردد، وهو ركيزة التكليم، فما هي فائدة كلامك وأوامرك لشخص لا يمضي كلامك ولا يطيعك فيه؟ ولذا قال تعالى: ﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ﴾ وقال: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾، وموسى عليه السلام ذهب إلى فرعون وواجهه وحيداً بلا أنصار، وقد فُسّرت الآية الشريفة ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾(طه ١٢) بإزالة الخوف من فرعون وبالرجاء في الإجابة.

والإمام الحسين عليه السلام مضى بلا تردد وخلع الخوف من قلبه وظل يرجو أن يجيبه أحد من أعداءه إلى آخر لحظة من المواجهات معهم، فكان يخاطبهم ويذكرهم ويناديهم ويناشدهم، فلم يستجيبوا لشيء من قوله أو مناشداته عليه السلام.

- التسامي: خلة عيسى عليه السلام روح الله

قال تعالى: ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾(البقرة ٨٧)، والتسامي في اللغة هو التخفف من روابط الدنيا(ابن منظور)، وقد كان عيسى عليه السلام من أزهد الناس وأخفّهم بأعباء الدنيا، حتّى انه لم يتزوج، وكان كثير التنقل بين الأماكن والبلدان والمناطق والقرى من أجل تبليغ الرسالة حتى سمي المسيح، وروى الصدوق في معاني الأخبار: معنى المسيح أنه كان يسيح في الأرض ويصوم.

والإمام الحسين عليه السلام كان متخففاً من كل شيء، ولم يثقله عن أداء دوره وجود عائلته معه واحتمال تعرضهم للسبي ولا قتل أولاده ولا التمثيل به ولا شيء أقل من ذلك ولا أكبر.

- الرضا: خلة محمد صلى الله عليه وآله وسلم حبيب الله

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾(الأحزاب ٥٦)، والرضا ركيزة الحب، فالحبيب يرضي حبيبه بكل ما يستطيع وبكل جهده ولا يترك له مورداً لخيبة الأمل أو للتساؤل عن شبهة تقصير، وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سيرته كلها من أوّلها إلى آخرها، فقد كان من أكثر الخلق إرضاءً لرب العالمين سواء في دعوته أو في أدبه وأخلاقه أو في عبادته أو جهاده أو صبره في سبيل الله أو تحمّله، حتى قال صلى الله عليه وآله وسلم: «ما أوذي نبي مثل ما أوذيت».

والإمام الحسين صلوات الله عليه تفانى في إرضاء رب العالمين بعميق تضحياته، حتى أنه لم يوفر في تضحياته نفساً ولا طفلاً ولا أخاً ولا عشيرةً، فقد تعرض آل علي وفاطمة صلوات الله عليهما إلى الفناء في كربلاء وبالكاد نجى منهم أحد، كل ذلك للحفاظ على دين الله وإصلاح أمة رسول صلى الله عليه وآله وسلم، وكان عليه السلام يقول «هون علي ما نزل بي أنه بعين الله».

- الطاعة: خلة علي أمير المؤمنين عليه السلام ولي الله

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾(المائدة ٥٥)، والطاعة هي ركيزة الولاية، فلا ميزة لولاية وتبعية بدون طاعة، وأمير المؤمنين عليه السلام هو أطوع الناس لله ولرسوله فقد التزم بأوامر رسول الله ووصاياه في أصعب المواقف والشدائد، بدءً من المبيت في فراشه ليلة هجرته الشريفة مروراً بما حصل في بدر وأحد وحرب الأحزاب وخيبر وحنين، وأخيراً وليس آخراً صبره على ما حدث في السقيفة والهجوم على داره وزوجته سيدة نساء العالمين صلوات الله عليها وكسر ضلعها وضربها بالسياط والتهديد بحرق بيتها عليها وعلى أبنائها الكرام، كل تلك الطاعات والالتزام بوصايا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان خوفاً على هذه الأمة من التمزق والتشرذم والانحراف، فسمة الطاعة لدى أمير المؤمنين عليه السلام كانت في كل حالاته، حتى أن الآية الشريفة تشير إلى طاعة مركبة أي طاعة (التصدق بالخاتم) في بطن طاعة (الركوع في الصلاة).

والإمام الحسين عليه السلام كان شديد الطاعة لله في كربلاء بحيث لم يوقفه شيء عن أداء مهمته حتى عندما تخلى الجميع عنه، فلم يستوحش لخذلان الخاذلين، ولم يتردد لقلة الناصرين، ولم يتراجع عن تقديم أغلى الأضاحي قرباناً لله الواحدة تلو الأخرى في سبيل أهدافه الكبرى ونهضته العظمى.

- خاتمة: تحمل الأوجاع والتسامي بالفضائل في سبيل نصرة الدين

إن ما يجدر بنا أن نتذكره دائماً هو علّة تلك التضحيات والفضائل الكبيرة التي جعلت من الإمام الحسين عليه السلام النموذج الأسمى للإصلاح في تاريخ البشرية، وكما تنص زيارة الناحية المقدسة «كُنْتَ لله طَائِعاً، وَلِجَدِّك مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِه تَابِعاً، وَلِقَوْلِ أَبِيكَ سَامِعاً، وَإِلَى وَصِيَّةِ أَخِيكَ مُسَارِعاً، وَلِعِمَادِ الدِّينِ رَافِعاً، وَلِلطُّغْيَانِ قَامِعاً، وَلِلطُّغَاةِ مُقَارِعاً، وَلِلأُمَّةِ نَاصِحاً، وَفِي غَمَرَاتِ المَوتِ سَابِحاً، وَلِلفُسَّاقِ مُكَافِحاً، وَبِحُجَجِ الله قَائِماً، وَلِلإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ رَاحِماً، وَلِلحَقِّ نَاصِراً، وَعِنْدَ البَلَاءِ صَابِراً، وَلِلدِّينِ كَالِئاً، وَعَنْ حَوزَتِه مُرامِياً، تَحُوطُ الهُدَى وَتَنْصُرُهُ، وَتَبْسُطُ العَدْلَ وَتَنْشُرُهُ، وتَنْصُرُ الدِّينَ وتُظْهِرُهُ، وَتَكُفُّ العَابِثَ وتَزجُرُهُ».

مصادر:

١- ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. **لسان العرب**، الطبعة الأولى، (٢٠٠٥م/ ١٤٢٦هـ)، (تدقيق: البقاعي، د. يوسف؛ شمس الدين، إبراهيم؛ علي، نضال)، مؤسسة العلمي للمطبوعات، بيروت.

٢- المشهدي، أبو عبدالله محمد بن جعفر. **المزار الكبير**، الطبعة الأولى، (١٤١٩هـ)، (تحقيق: الأصفهاني، جواد القيومي)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة.

٣- الصدوق، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين ابن بابويه. **معاني الأخبار**، الطبعة الأولى، (١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت.

٤- الطريحي، فخر الدين. **مجمع البحرين**، الطبعة الأولى، (١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م)، (تحقيق: الحسيني، أحمد)، الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

٥- المعلومات الطبية: موسوعة إلكترونية **encyclopedia.com** وموقع **webteb.com** // وموقع **altibbi.com** // وموقع **sehaway.blogspot.com**

مقالات

تصدر عن:
رضوى للإنتاج الثقافي

للمراسلات:
maqalatnewsletter@gmail.com

توضيح:
محتوى **مقالات** متاح للراغبين في الاقتباس، مع ملاحظة نسب الاقتباسات إلى النشرة.

رضوى
للانتاج الثقافي